الجهاد الخالد (١)

بقلم الاستاذ احمد محمد آل صالح

حضرات السادة

تصاب الامم احيانا بنكسات ترتد فيها على اعقابها وتفقدها كثيراً من مميزاتها ومبادئها وتنسيها واجباتها وتذهلها عن القيام بتلافي امرها ، ومثل هذه النكسات تأتي على فترات تتفاوت في الطول والقصر يأتي بعدها رجال الهمهم الله كيف يردون امهم الى جادة الصواب ويعيدون اليها ما فقدته ويسبغون عليها نعمة الاتحاد وينفخون فيها روح القوة والايمان ومن هؤلاء الرجال الانبياء والرسل والمصلحون من الزعماء والقادة .

واقتضاء محمد على فترة من الرسل كان العالم يسدرفي ظلمات الجهالة وكان العرب على الاخص في حالة لا توصف من الانحلال والفوضى فبدد تلك الظلمات ورفع من قيمة الفرد وأباد الطبقية ونشر لواء الحرية بمعناها الصحيح وبدأ بالعرب عشيرته الاقربين فوحدها وجعلها خير أمة اخرجت للناس أئمة يهدون الى الخير وبه يعدلون. وفارق الدنيا وهو راض مرضي كيف لا وقد قال له ربه (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) ؟

أيها السادة :

لم تكد تنقضي ثلاثة عقود من السنين على تلك الامة الموحدة التي فارقها منقذها الاعظم وهو عنها راض حتى لاحت فيها بوادر الانتكاس من شقاق وفساد في الحكم واذا بها تصاب برجة عنيفة روعتها واذهلتها وهي لما تزل بعد وفيها من جالس محمد وروى عن محمد

وكان هذا ولاريب نذير سوء وبدء شر مستطير جعل الناس في حيرة من امرهم لا يدرون ماذا يفعلون وتتسع الهوة وتحل النكسة ويبدأ الصراع من جديد بين الحق والباطل .

وتأبى حكمة الله الازلية الا ان ترسل للعرب والاسلام من يجود بنفسه ليذود عن بيضة الدين ويحمي عرين العروبة ويوقف سير هذه النكسة حتى لا يرتد المسلمون كفاراً يعبدون اشخاصا واوثانا وليتنصر للحق والحرية والعدل . وليعيد الى الاذهان صورة الجهاد الحق وكيف تكون التضحية في سبيل الحق والمجموع

وهكذا كان ووقع اختيار الله على ابن بنت رسوله ليجدد عهد نبيه ويعيد مبادئه السامية وتعاليمه السمحة التي لو شاء ان يأتي عليها الاندثار .

لننظر الآن ماذا حول الحسين ؟ شريعة مهجورة وحكم فاسد ونظام جائر ومنكر شائع وحقوق مهدورة واخلاق يعصف بها الهوى وتغوص امراضها الغرض وتسلط عليها البغي . وانحلال وتضارب في الآراء تزجيها نفسية خبيثة وتذكيها انانية وضيعة يهرها حب العسف والسيطرة ويشعل اوارها زناد قبلية جاهلية يمدها شياطين الانس ويملي لها موتورون يتربصون بالامة الدوائر عن يمين وشمال

ونتيجة لذلك كله فقد امست الحالة النفسية العامة في المحيط الذي امتدت الحياة بالحسين ليراه على اشد ما تكون من الاضطراب والارتباك والتقلقل . وكانت قلوب الاكثرية هلعة جازعة تغلي بالحقد والغضب والرأي العام يتبرم من الاوضاع السائدة والجماهير تجهر باللوم والانتقاد لاعمال تلك الفئة التي بيدها الامر لانصرافها عن الامور الاساسية وانحرافها عن سبيل الرشد وانغماسها الى الاذقان في الشهوات . ولاغرابة في ذلك فقد كان رأس تلك الفئة لا عمال واحدة من كفايات الحكم وماهو إلا مجموعة من مركبات النقص والضعف وحب الذات اجتمع بعضها الى بعض فتكون منها ذلك الرأس الآفن والخليع الماجن الذي لوث وجه التاريخ العربي بكثير من تصرفاته الطائشة الهوجاء والتي منها استباحة المدينة مثوى الرسول واصحابه وسبيها وضرب ام القرى وتهديمها

---

(١) هذه الكلمة في ضمن الليلة السادسة ولكنها تأخرت عن الوصول في موعدها المناسب ولذلك لم تلق في الحفلة

هذا الى جانب فعلته الشنعاء بقتله افضل من كان يمشي على الارض مما افقده حب الناس واكسبه لعنة التاريخ وبئس ما كسب .

لقد كان الناس يحسون ويشعرون بنقائص الحكم ونقص الحاكم وما يكتنفها من المخازي . ولكنهم ليسوا بمستطيعين على ازالة هذه المنكرات التي فشت والمفاسد التي شاعت اما رغبا واما رهبا ، فقد راحت الدنانير تكم الافواه والدعاية العريضة المبطلة تصم الآذان والقوة الغاشمة تحصد الرؤوس او تشتد بها تضييقا واعناتا والترضيات تبذل لهذا وذاك ممن اعماهم بريق الذهب ولمعان الفضة فاستخذوا وهان عليهم دينهم ورخصت نفوسهم فباعوها بثمن بخس ، ومع ذلك فقد ظل السواد يرقب الحال ويرسل الصيحة تلو الصيحة ويستغيث ويستصرخ ويرتقب ساعة الخلاص وينتظر وثبة البطل

ومضى البطل وقد هاله ما وصل اليه امر الامة من التبذل والاسفاف وما آل اليه من التدني والانحطاط يجهر برأيه وينكر المنكر ويندد بتصرفات اشقى أمية . ويطلب ان يتولى الامر كفؤ يرضاه الناس وكيف لا وهو يرى تلك الفئة تخرج على تعاليم مدرسته وتهجرها وقد استبخلها الغرور فزاغت ابصارها وعميت بصائرها وركبت رأسها وسدرت في غيها ممعنة في مهاوي الضلال وظلمات الباطل ؟

وقامت الدعاية تلوّح للبطل وتستميله وتبذل له وتستهويه فازور عنها ساخرا وترفع محتقرا اذ لا مطمع له في دنيا ولا رغبة له في عرض ولكنه يريد اصلاح امر الناس . ومن ذا الذي يقوم باعباء هذا العمل الجسيم اذا لم يقم هو ؟ لانه يرى نفسه مسؤولا امام الله اذا لم ينهض لدرء خطر يهدد رسالة جده المنقذ التي جاء بها رحمة للناس كافة .

وقد كان ورفع الحسين لواء الجهاد وهب لنصرة الحق فكان مثلا رائعا اعلى في جهاده ورسوخ ايمانه وشدة ثباته على عقيدته ومبدئه .

قف دون رأيك في الحياة مجاهدا

ان الحياة عقيدة وجهاد

وهكذا وهب نفسه صابراً راضيا يرى مصارع اخوته وبنيه واصحابه حواليه وبين يديه ثم هو الآخر يختم المطاف فاذا البطل يهوى من عليائه واذا هو بقصة الخلود هذه يلقي بها دروساً وعبرا في الجهاد ستبقى حروفها وضاءة تشع على كل شعب يريد الخلاص من ربقة الذل نورا وهاجا وتبعث فيه عزما وايمانا بحقه وحريته في الانطلاق من الاساور والتحرر من النير والحرية بقت التضحية :-

قد خاب من طلب الحقوق بغير السنة الحراب

أيها السادة :

لقد جاهد الحسين في الله حق جهاده وقضى نحبه في هذا الجهاد الخالد هو ونخبة صالحة وقعت موقعة المشرف . وهو وان كان قد قضى لكنه حمر نصراً عزيزا وكسب المعركة بهذه الميتة به التي لم تكن في الحقيقة الا حياة خالدة سرمدية له ولمبادئه وتعاليمه بل هي الطريق الواضحة لانتصار الحق وظهوره :-

لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قوة المغتصب

حضرات السادة

هاهي ذي ذكرى جهاد بطلنا الاكبر تطل علينا وقد تعاقبت عليها القرون الطويلة وكأنها بمعانيها السامية وبما ضربته للناس من امثال قد وقعت امس ، اما تلك الفئة الباغية فقد افنتها جريرتها هذه واهلكها بغيها وما كسبت ايديها واضحت كالاطلال البالية بعد حفنة من من السنين وتلك والله آية الجهاد وهذا سر التضحية

وبعد ايها السادة

ما احوجنا نحن العرب في ظروفنا الحاضرة الى السير على هدى الحسين واقتفاء سنته وما اشد افتقارنا الى رجال فيهم ولو بعض خلال أبي المناضلين العظيم وقد احاطت بنا وتكالبت علينا شراذم من شذاذ الآفاق وحثالات الشعوب تريد استغلالنا واغتصاب بلادنا وتمزيقها تساندها في ذلك حكومات كافرة جاحدة بكل ما قدمناه لها من جميل ايام محنتها حيث اجعنا شعوبنا لتأكل هي وتتنعم على حساب الوفاء بالعهود والبر بالمواعيد حتى اذا خرجت منها ظافرة تنكرت لنا وقلبت ظهر المجن وضربت عرض